

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

العقيدة الطحاوية - الدرس : 08 - الله خالق بلا حاجة .

08-04-1995

الله خالق بلا حاجة

بعضهم يقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لِهَدَفٍ أن يعبدوه.

الإنسان حينما يرسم أمامه هدفاً ويسعى إليه؛ فماذا يعني ذلك؟ يعني أنه ضعيف، وتوصل إلى هذا الهدف بوسيلة، لماذا تدرس؟ كي تتعلم، ولماذا تحفر البئر؟ كي تستخرج الماء، ولماذا تزرع الحب؟ كي تثبت الغذاء.

فالإنسان حينما يكون له هدف، وهو قاصر عن أن يصل إليه، فيستعين بأداة، بمجرد أن يكون لك هدف بعيد عنك، وبعيد أن تصل إليه رأساً، فأنت محتاج لوسيلة.

الأهداف والوسائل، كلها تصح في حق الإنسان ولكنها لا تصح في حق الله تعالى، فهو خالق بلا حاجة، والعلة الغائية لا تليق بالله تعالى، ويجب أن ننفي عن الله تعالى العلة الغائية، وهي أن نقول: إنَّ هناك غاية، والله تعالى وصل إليها بوسيلة، هذا شأن البشر، وشأن الضعاف، أما الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له: كُن فيكون فلا يحتاج إلى وسائل، ولا إلى أهداف، فلا الأهداف تليق به، ولا الوسائل تليق به.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴾

فلام التعليل في هذه الآية خرجت عن معناها، فليس معناها أن الله سبحانه وتعالى له هدف، ووصل إليه بوسيلة؛ لا، بل هو خلق الخلق كلهم، وعليهم أن يعبدوه. أنا خلقتهم، فإذا عبدوني سجدوا، وهذه اللام ليست لله عز وجل، وليست تعليلاً لخلق الله، بل هي علة سعادتهم، إن عبدوه سجدوا.

فالعبادة لا تكون إلا بعد معرفة، وهذه العبادة من لوازمها السعادة، فأنت مخلوق كي تعلم وتعمل، وكي تفعل، فالسعادة هي الغاية، والعبادة هي الثمن، والعلم هو السبب.

ورد في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطَعْتُهُ فَاسْتَطَعْتَنِي أُطِعْتُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسَوْنِي أَكْسُتُمْ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَنْفَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً))

فالله سبحانه وتعالى خالق بلا حاجة. لكنّ الناس فقراء إلى الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

مَنْ يُفَكِّر فِي كَلِمَةِ الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ؟

الإنسان أحياناً تظهرُ مودّته ولطفه وأدبه ونعمته إذا كان مُحتاجاً لإنسان، فإذا استغنى عنه تظهر فظاظته وكبره واستعلاؤه، فالذي ليس له أصل إيماني؛ هذا لطف الضّعف، وأحياناً الغنى من لوازمه الفظاظ، والغلظة، والاستغلاء، والعنجهية، وهذا شأن البشر، لكنّ الله سبحانه وتعالى هو غني عنكم، ومع أنّه غني عنكم لا يُعاملكم إلا مُعاملةً تحمدونه عليها.